كتاب "تاريخ هرقل" أقدم مصدر لتاريخ الفتوح الاسلامية عرض ونقد وتقييم

ط/د.حسينة عيادي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة

الملخص باللغة العربية

غابت عن الدراسات التاريخية الإسلامية المعاصرة المصادر التاريخية الحاملة للرواية المسيحية -الطرف الثاني في حروب الفتوح الإسلامية- وقد تم الكشف عن العديد من هذه المصادر على أيدي الباحثين الغربيين، وعلى رأس هذه المصادر كتاب "تاريخ هرقل" للمؤرخ الأرميني سيبيوس، الذي يكتنف حياته الكثير من الغموض، إلا أن الباحثين متفقون على أنه عاش في القرن السابع الميلادي، مما يجعله معاصرا لحركة الفتوح الإسلامية على الجبهتين البيزنطية والفارسية، وهذا ما أعطى

كتابه قيمة علمية عالية، وقد تناول في كتابه أحداثا تاريخية تعود للقرن الخامس ثم القرن السادس فالسابع الميلادي، غير أن أهمية كتابه تكمن في تناوله لتاريخ الإسلام والمسلمين فقد تناولها في الفصول الثمانية الأخيرة من كتابه من بين ثمانية وثلاثين فصلا، حيث توقف عند قيام الدولة الأموية سنة 41هـ/661م، وقد ضمن كتابه العديد من الأخبار المتعلقة بحركة الفتوح الإسلامية، كما ضمنه الكثير من النصوص الرسمية والرسائل المتبادلة بين الطرفين الإسلامي والبيزنطي، بالإضافة إلى نصوص المعاهدات واتفاقيات الصلح والتي غابت عن المصادر العربية الإسلامية، وهذا يضيف قيمة علمية كبيرة للكتاب، ومن جهة أخرى فقد نقل لنا صورة عن الصراعات العقدية بين الطوائف المسيحية التي كانت قائمة في بلاد أرمينيا، وقد اعتمد في كتابه على روايات الأسرى المسحيين الذين سقطوا في قبضة المسلمين تحت الأسر بصفتهم شهود عيان كما كان هو نفسه شاهدا على كثير من الاحداث التي أرخ لها، وتنطوي كتاباته على التعصب ضد الإسلام والمسلمين ففيها الميل الظاهر والتحامل السافر على المسلمين ووصفهم بأشنع الصفات، إلا أن كتابه تدور حوله الكثير من الشكوك من حيث نسبته لسيبيوس ومن جهة صحة النص حيث أن أقدم نسخة للكتاب متوفرة تعود للقرن السابع عشر الميلادي، غير أن كتابه لا يخلوا من قيمة علمية كبيرة تفيد الباحثين شرط مقارنة أخباره بما ورد في المصادر الإسلامية وبقية المصادر المسيحية واخضاعها للنقد العلمي.

الكلمات المفتاحية: سيبيوس; تاريخ هرقل; الإمبراطورية البيزنطية ; الإمبراطورية الساسانية; أرمينيا; الفتوحات الإسلامية; الإسلام; لمس القسطنطينية; الطوائف المسيحية; القرن السابع الميلادي; أقدم مصدر تاريخي

.Summary in English

The historical sources of the Christian narrative - the second party in the wars of the Islamic Fotouh - have been absent from these historical Islamic studies, many of these sources have been revealed by Western scholars. The most important of these sources is The History of Hercules by the Armenian historian Sibios, But the researchers agree that he lived in the seventh century AD, which makes it contemporary to the movement of the Islamic Fotouh on the Byzantine and Persian fronts, and this gave his book a high scientific value, and dealt in his book historical events from the fifth century and the sixth century and the seventh The book's importance lies in its handling of the history of Islam and Muslims. It has been dealt with in the last eight chapters of its book of thirty-eight chapters. It was stopped at the time of the establishment of the Umayyad state in 661 AD. Many of the official texts and messages exchanged between the Islamic and Byzantine parties, in addition to the texts of treaties and agreements of reconciliation, which are absent from the Arab Islamic sources, and this adds great scientific value to the book, and on the other hand we have a picture of the conflicts between the Christian sects that existed In the country of Armenia, has been based in his book on the accounts of the prisoners who fell in the hands of Muslims under the captivity as eyewitnesses as he was witness to many of the events that have been dated to it, and his writings include intolerance against Islam and Muslims in which the apparent tendency and blatant prejudice to Muslims and described them But his book revolves around a lot of doubts in terms of the proportion of Cybios and the validity of the text as the oldest version of the book are available dating back to the seventeenth century, but his book is not without great scientific value, according to the researchers requirement to compare his news with the Islamic sources And other sources Christianity and subject to scientific criticism.

مقدمة

ظلت الرواية العربية والإسلامية سائدة وغالبة على التأريخ لأحداث حركة الفتوح الاسلامية عند الباحثين المسلمين والعرب في تاريخنا الحديث والمعاصر وذلك لكثرة وتنوع المصادر التي تناولت هذا الموضوع وتخصصت فيه، وفي المقابل غياب شبه تام لرواية الآخر والذي كان هو الطرف الثاني في الصراع، لكن بفضل جهود بعض المستشرقين والباحثين الغربيين بدأت في الظهور مجموعة لا بأس بها من المصادر الاصلية التي تمثل هذه الرواية وتصنع لها موطئ قدم أمام الرواية الإسلامية، غير أن الغربيين وتماشيا مع خلفياتهم العقدية والأيديولوجية أعطوا هذه الرواية قيمة أكثر من قيمتها الحقيقية وصنعوا لها مكانة عالية لا تليق بها في كثير من الأحيان وعارضوا بها الرواية الإسلامية وشككوا فيها وسار الكثير من الباحثين العرب والمسلمين على نهجهم دونما قيد، لكن المنهج السليم والذي يمكن أن يوصلنا إلى بر الأمان أمام تعارض الروايتين وتناقضهما في كثير من الأحيان وفي تفرد احداهما بالخبر والمعلومة دون الأخرى في احايين أخرى هو عرض كلتا الروايتين على النقد الدقيق والتقييم السليم لمعرفة مكانة وقيمة كل منهما والخروج من بينهما بصورة واضحة وكاملة عن مجرى الاحداث في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ امتنا، وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على أقدم مصدر لحملة الفتوحات الإسلامية المبكرة والذي يمثل الرواية الارمينية المسيحية لكاتب معاصر لتلك الاحداث، وهذا الكتاب هو " تاريخ هرقل " لسيبيوس الأرميني.

1- التعريف بالمؤلف

لا يعرف إلا القليل عن حياة سيبيوس الأرمني، تاريخي ميلاده وموته غير معروفين لكن المؤرخين يتفقون على أنه عاش في القرن السابع، ومما يعرف عنه على سبيل اليقين أيضا انه عاصر حكم الملك الساساني خسروف الثاني Khosrov II في بلاد فارس الذي حكم بين (590- 628م)، كما شارك في المجلس الكنسي الرابع لمدينة (دفين Dvin) [1] الذي انعقد سنة 645م حيث حملت الملصقة المرافقة لقرارات المجلس الكنسي توقيعه باسم "سيبيوس أسقف البغراتوني" " Bishop Sebeos of The Bagratuni" في الترتيب الثامن. [2]

وقد عاش سيبيوس في بلاد أرمينيا التي امتدت آنذاك من شمال الشام والعراق حتى بحر الخزر (قزوين) وكان الأرمن يدينون بالمسيحية على المذهب المينوفيزي (المونوفيزي) او مذهب الطبيعة الواحدة المخالف لمذهب الطبيعتين الذي تعتنقه كنيسة القسطنطينية، وهو ما دفع الأباطرة البيزنطيين دائما إلى فرض سيطرتهم السياسية على بلاد أرمينيا ومحاولة فرض مذهبهم الديني على كنائسها، غير أن الشعب الأرمني رفض ذلك واستمر في مقاومته للاستقطاب المذهبي البيزنطي.[3]

ثم إن سيبسوس هو الكاتب الأرميني الوحيد من القرن السابع الميلادي الذي يروي أول غزوات العرب في أرمينيا، معاصرا لسقوط الساسانيين ، وقد عاصر هذه الأحداث التي أورد اخبارها في كتابه مما يضفي عظيم القيمة لرواياته.[4]

2- كتاب "تاريخ هرقل"

عنوان كتاب سيبيوس هو "تاريخ هرقل" " Histoire D'Héraclius" ، وقد بدأ في تدوين أحداث كتابه سنة 675م، بدأه بأحداث سنة 480م وقد انتهى إلى غاية بداية خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة661م[5] ، وأول من تعامل مع هذا الكتاب هو ايتيان أزوليك Etienne Asolik De Taron، ثم جراقو دوقاندزاك Giragos De Gandzak ومن طرف تشامشين Tchamtchean، في مقدمة تاريخه[6]، ولكن العملين عملا على مخطوطة واحدة موجودة في مكتبة

ايتشميادزين Etchmiadzin [7]، وهذه النسخة أشار لها بروست Brosset سنة 1848م، في التقرير الذي أعده عن رحلته إلى بلاد جورجيا وأرمينيا [8]، وأول طبعة لكتاب تاريخ هرقل كانت في إسطنبول سنة 1851م.

إن كتاب تاريخ سيبيوس هذا كما وصفه روبيرت بدروسيان Robert Bedrosian[9] : «هو وثيقة القرن السابع وله أهمية خاصة لدراسة أرمينيا والشرق الأوسط في القرنين السادس والسابع»[10]، خلال تلك الفترة، كانت الإمبراطوريتان الساسانية والبيزنطية تتصارعان على السيطرة على المرتفعات الأرمينية، كما أنه في هذه الفترة التي كتب فيها سيبيوس مؤلفه أصبحت الثقافة الأرمنية «أكثر فردية ومستقلة ووطنية ومميزة»[11].

يركز سيبيوس اهتمامه في المقام الأول على الجوانب الدينية والعقدية في أرمينيا، كما أنه يوفر معلومات واسعة وقيمة عن الأحداث التي تجري على جوانب بلاد أرمينيا بين مجتمعات بيزنطة وبلاد فارس من جهة، وبينهما وبين العرب من جهة أخرى.

يوجد في كتاب سيبيوس معلومات دقيقة ومفصلة عن الإمبراطورية البيزنطية تناول فيها عهود الأباطرة: موريكيوس (582-602م)، فوكاس (602-610م)، هرقل الأول (610-641م) وخلفاؤه إلى كونستانس الثاني(641-668م) ، بما في ذلك حروبهم ضد إيران في الشرق والقوط في الغرب، كما أن كتابه حافل بالمعلومات الدقيقة عن كل ما يتعلق بأرمينيا مثل ، أرمينيا المرزبانية (الفارسية) [12]، وولاة الخلفاء المسلمين على ارمينيا Ostikan[13]، كما أن الكتاب غني بالمعلومات عن عهود ملوك الساسانيين: كالشاه فيروز الأول (459-484م)، و بالاش(484-488م) ، وقاباذ الأول(488-531م)، وأنوشيروان كسرى الأول (531-579م)، وهرمز الرابع(579-590م)، و كسرى الثاني برويز(591-628م)، والملكة بوران (630-631م)، ويزدجرد الثالث (6332-651م) آخر الملوك الساسانيين.

بالإضافة إلى ذلك، يروي سيبيوس ولادة ونهضة الإسلام ويقدم معلومات غير عادية عن القومية اليهودية، والخزر في شمال القوقاز، وكوشان على الحدود الشمالية الشرقية لإيران.

الترجمتان الموجودتان اليوم بين أيدينا الفرنسية والتي قام بها فريديريك ماكلر Frédéric Macler سنة 1904م، والانجليزية التي قام بها روبرت بيدروسيان Robert Bedrosian سنة 1979م اعتمد فيهما المترجمان على الطبعة الأرمينية الكلاسيكية والتي قام بها الروسي باتكانيان K.Patkanean بعنوان [Patmut'iwn Sebeosi episkoposi i Herakln] بسان بطرسبورغ سنة 1879م، وقد اعتمد في نصه على الطبعة السابقة التي قام بها التركي ميهريداتيان T. Mihrdatian في القسطنطينية ، سنة1851م، بالاضافة إلى مخطوطة موجودة في الأكاديمية الإمبراطورية في سان بطرسبورغ. واستند ميهريداتيان بدوره في طبعته على مخطوط مجهول موجود في مكتبة اجمياتسن Ejmiatsin في عام 1842م من قبل الأسقف يوهانس شهكاتونيان Yovhannes Shahxat'unian. [14]

3- موارد سيبيوس في كتابه

اعتمد سيبيوس في مؤلفه على بعض المصادر الأرمينية المفقودة، وعلى المعلومات التي جمعها بنفسه من أفواه الأسرى والأرمن الذين قام المسلمون بإطلاق سراحهم في ما بعد، وهو ما مكنه من كتابة مصدره التاريخي الذي تكون من ثمانية وثلاثين فصلا تناولت تاريخ أمته وتاريخ علاقتها بالدولة البيزنطية وكذلك تطرق فيه لأحداث الحرب بين الفرس والبيزنطيين التي انتهت بانتصار الامبراطور البيزنطي هرقل Héraclius (610-641م) الحاسم سنة 628م واسترداده

لصليب الصلبوت الذي سبق ان استولى عليه الفرس بزعامة خسروف الثاني (590-628م) لدى استيلائهم على بيت المقدس، وكان لانتصار هرقل أهمية كبرى في العالم المسيحي إلى درجة اعتبرها بعض الباحثين البداية الحقيقية للحروب الصليبية، على أن ما يهمنا هنا هو تأثر سيبيوس بهذا الأمر للدرجة التي جعلته يطلق على مصدره التاريخي المهم اسم" تاريخ هرقل"[15]

غير أن هذا العنوان ليس دقيقا ولا يناسب محتويات الكتاب لأنه يتطرق إلى العديد من الأحداث الأخرى قبل حكم هرقل وبعده. [16]

4- التاريخ الإسلامي في كتاب تاريخ هرقل

- يبدأ سيبيوس ابتداء من الفصل الثلاثين من كتابه وحتى نهايته في الحديث عن الإسلام منذ ظهور الدعوة المحمدية وانتشارها في جزيرة العرب ويبدو أنه كان يعرف القليل من القرآن الكريم أو اعتمد على بعض المصادر الإسلامية، فقد أورد الآية 160 من سورة آل عمران[17]، وجعل منها دستورا للفاتحين المسلمين وذكر أن هذا ما جعلهم يتفانون في ميدان القتال ويجعلون شعارهم النصر أو الشهادة، وهكذا تتبع سيبيوس انتشار الإسلام وامتداد الفتوحات الإسلامية إلى بلاد الشام وبلاد فارس ثم بلاد أرمينيا. [18]

وفي افتتاحه للفصل الثلاثين من كتابه وهو الفصل الذي بدأ يتكلم فيه عن الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم قال: «سوف أتحدث عن سليل إبراهيم ، وليس عن الابن الحر، ولكن من الذي ولد من العبد والذي تحققت فيه هذه الكلمة من الرب حقًا: "يده تكون ضد الجميع ، ويد الجميع سوف تكون ضده"[19]» [20]

- ويضيف قائلا عن الدعوة المحمدية : «في ذلك الوقت كان هناك واحد من أبناء إسماعيل ، سمي على اسم محمد، تاجر قدم نفسه لهم كواعظ، يدعو للصراط المستقيم، و علمهم أن يعرفوا إله إبراهيم، لأنه كان متعلما جدا ومتمرس جيدا في تاريخ موسى، عندما جاء الأمر من الأعلى، اجتمعوا جميعا على سلطة واحد منهم إلى وحدة القانون، والتخلي عن طقوس الغرور، عادوا إلى الإله الحي الذي كشف عن نفسه لأبيه إبراهيم. أمرهم محمد ألا يأكلوا لحم الميتة، ولا يشربوا الخمر، ولا يكذبون ولا يزنون»[21].

- وقال ايضا: «لقد أعطى الله هذه الأرض لإبراهيم ونسله بعده إلى الأبد، وقال الملك لمحمد: أنت من أبناء إبراهيم والله يدرك فيك الوعد الذي قطعه لإبراهيم وأجيالهن أحب فقط إله إبراهيم ، اذهب واغتنم أرضك، التي أعطاها الله أبوك إبراهيم ، ولا أحد يستطيع أن يقاومك في القتال، لأن الله معك». [22]

- وذكر نصا لرسالة المسلمين لهرقل وكيف تعاطى معها فقال: «أنشأوا –المسلمون- جيشا عظيما ثم أرسلوا سفارة إلى إمبراطور الإغريق –هرقل- ، قائلين: "أعطى الله هذا البلد الميراث لأبينا إبراهيم ونسله من بعده، نحن ابناء إبراهيم، كنت تملك بلادنا لفترة كافية ؛ اعطيها لنا بسلام ، ولن نغزو أرضك، وإلا فسوف نأخذك مرة أخرى بما كنت قد أمسكته. " رفض الإمبراطور ، وقال من دون أن يعطيهم إجابة مرضية: "هذا البلد لي، ميراثكم هو الصحراء اذهب في سلام لبلدك"، وبدأ في جمع حوالي 70،000 رجل ، وضعهم تحت قيادة أحد خصيانه المؤمنين ، وأمرهم بالذهاب إلى الجزيرة العربية، وأمرهم بعدم محاربتهم (العرب) ، بل بالبقاء في موقع الدفاع ، حتى جمع قوات أخرى لإرسالهم لمساعدتهم». [23]

- تكلم عن معركة اليرموك ووصف الهزيمة التي مني بها جيش هرقل وأحصى قتلى الروم بـــ 2000 جندي، وذكر بأن جميع قادة البيزنطيين قتلوا فيها[24]، كما تكلم عن جبهات الفتوح الإسلامية الثلاث في زمن عمر بن الخطاب جيش وجه لمصر وآخر لبلاد الشام وثالث لبلاد فارس، وكل منهم حقق النصر في سرعة فائقة.[25]

- كما وصف عديد المعارك التي قام بها المسلمون اثناء عمليات الفتح ودعم رواياته بالعديد من الاحصائيات، وصور عمليات الفتح بأنها عمليات تدمير وتخريب وقتل وأسر وذكر بأنه تم أسر 35000 رجل مسيحي في احدى المعارك واقتادهم المسلمون لجزيرة العرب.[26]

- وقال في آخر الفصل الثلاثين أنه أخذ هذه المعلومات عن بعض الاسرى المسيحيين الذين عادوا من بلاد العرب والذين كانوا شهود عيان لهذه الاحداث وذكر بأنه سمع ذلك بنفسه عنهم.[27]

- تكلم سيبيوس في الفصل الواحد والثلاثين عن مؤامرات اليهود في مدينة بيت المقدس وكيف أنهم استغلوا فرصة القضاء على سلطة البيزنطيين ورسموا مخططا لهيكل سليمان المزعوم وحددوا مكان مقدس بالنسبة للمسيحيين يسمى قدس الاقداس وارادوا أن يبنوا هيكلهم هناك فمنعهم المسلمون من ذلك، ثم أنهم دنسوا مكانا للصلاة خاص بالمسلمين بدماء الخنازير ورموا بها المسيحيين لكن مؤامرتهم وخطتهم كشفت في الأخير ونالوا عقابهم.[28]

- يحاول سيبيوس أن يعطي تفسيرا للأحداث والتي يسميها هو "بشرور الاسماعيليين في البر والبحر" فيلجأ إلى بعض النصوص في الانجيل والتي تتنبأ ببعض الشرور التي ستحدث للمسيحيين فيطابق بينها وبين ما يحدث.[29]

- تكلم في الفصل الثالث والثلاثين عن محاولة المسلمين للوصول إلى القسطنطينية بعد أن أرسل معاوية بن ابي سفيان جيشا مدعما بالسفن البحرية لهذا الغرض ولكنهم فشلوا في ذلك بسبب استخدام البيزنطيين للنار الاغريقية وحرق جميع السفن الإسلامية، كما تكلم عن ابرام معاهدة بين الطرفين تم فيها إقرار البيزنطيين بدفع الجزية وترسيم الحدود بين معاوية والامبراطور قسطنطين ابن هرقل.[30]

- يتكلم سيبيوس عن الصراع العقدي بين الطوائف المسيحية في هذه الفترة حول طبيعة المسيح وكيف أن الامبراطور البيزنطي يحاول فرض مذهبه الخلقيدوني القائم على فكرة الطبيعتين للسيد المسيح على الأرمن الذين ينكرون هذا المذهب ويدينون بمذهب الطبيعة الواحدة، وهذا كله في الظروف الصعبة التي تعيشها الإمبراطورية البيزنطية تحت ضربات سيوف المسلمين[31]

- ذكر ما اتفق عليه القساوسة المجتمعين في مجمع نيقية الكنسي حول طبيعة المسيح.[32]

- عاد سيبيوس مرة ثانية لاخبار المسلمين فافتتح الفصل الرابع والثلاثين بقوله: «وسأستمر في سرد الشرور التي حدثت في عصرنا ، فيما يتعلق بردع الحجاب القديم ، والحجاب المحترق والبائس الذي فجر علينا، وأحرق الأشجار الكبيرة والجميلة ، الحدائق الشابة والمورقة. ونحن نستحق ذلك ، لأننا أخطأنا ضد الرب وأغضبنا قديس إسرائيل».[33]

- يتكلم سيبيوس في كتابه في الفصل الرابع والثلاثين عن الاحداث والصراعات التي تحدث داخل الإمبراطورية البيزنطية وداخل البلاط البيزنطي والصراع بين القادة والاعيان حول السلطة بما يفسر حالة الضعف التي كانت تعيشها في هذه الفترة، وبما يفسر لنا سبب الانكسار السريع أمام ضربات المسلمين.[34]

- تكلم في الفصل الخامس والثلاثين عن هزيمة الفرس ونهاية دولتهم ويقول في ذلك: «لكن جيش ثيتالز[كذا] أخذ يزدجرد سجيناً وقتلوه، كان قد حكم عشرين عاما، وهكذا هُزمت دولة الفرس وسلالة الساسان ، التي حكمت 542 عامًا»[35]

- نقل سيبيوس في الفصل السادس والثلاثين نص رسالة معاوية لما كان واليا على بلاد الشام إلى امبراطور البيزنطيين قسطنطين بحرفها[36]، والتي غابت عن المصادر التاريخية الإسلامية، وهذا مما يزيد في قيمة هذا المصدر.[37]

- وفي الفصل السابع والثلاثين تكلم عن تمرد الميديين على معاوية وقتلهم لعامله.[38]

- تكلم في الفصل الثامن والثلاثين والأخير عن الفتنة الكبرى التي وقعت بين الصحابة وحرب علي ومعاوية دون أن يُفصل وتوقف عند توحد كلمة المسلمين على خلافة معاوية.[39]

5- منهج سيبيوس في كتابه

كتب سيبيوس عن أحداث عاصرها وشهد بعضها وبالتالي عرضها بصفته شاهدا أو راو لذا اتبع فيها منهجا يعتمد على عرض الأحداث دون مناقشتها ودون عرضها على فحص نقدي، وهذا ما يتفق مع ما كان شائعا في وقته سواء كان ذلك في الكتابات البيزنطية أو الكتابات العربية.[40]

وقد سجل سيبيوس في كتابه ما تناهى إليه من الشهود العيان، كما سجل ما شاهده هو و لم يعط في كتابه أي إشارة إلى المصادر المكتوبة التي استخدمها، ومن خلال أسلوبه وطريقة سرده للأحداث يتضح أنه اعتمد على مصادر بيزنطية اقتبس عنها الوقائع دون أن يعلق عليها، كما نجده ينتقل بين المواضيع دون ترتيب زمني وبالتالي تجد في الفصل الواحد عدة مواضيع لا يتعلق بعضها بالبعض الآخر.[41]

وبما أن سيبيوس هذا كان رجل دين في كنيسة فجاء تاريخه أقرب إلى كونه تاريخا دينيا كنسيا من كونه تاريخ سياسي[42]

6- أهمية تاريخ سيبيوس

يستمد كتاب المؤرخ الأرمني سيبيوس أهميته التاريخية من كونه أرخ لأحداث عاصرها أو كان قريبا من تاريخ حدوثها وسمعها عن من شاهدها أو كان طرفا فيها ، تناولت فتح المسلمين لبلاد الشام وأرمينيا كذلك تكتسب كتاباته مصداقية جاءت من كون مصدره هو المصدر التاريخي الوحيد الذي كتب في القرن نفسه الذي ظهر فيه الإسلام، وامتدت فيه الفتوحات الإسلامية إلى بلاد الشام وبلاد فارس وأرمينيا إذ أن المصادر الإسلامية التي تناولت حركة الفتوحات قد جاءت متأخرة عن ذلك (كالبلاذري، والطبري وغيرهما) بينما كتب المؤرخ البيزنطي ثيوفانس وجهة النظر البيزنطية في نهاية القرن الثامن وبواكير القرن التاسع الميلاديين ويتضح مما سبق تمتع كتابات سيبيوس الأرمني بالسبق الزمني والمعاصرة، وهو ما لم يتحقق للمصادر الإسلامية والبيزنطية الأخرى.[43]

كما تكمن أهمية هذا المصدر في الأخبار التي أوردها حول العلاقة بين الأرمن والامبراطورية البيزنطية في عهد أهم اباطرتها وخاصة في عهد هرقل وابنه قسطنطين الذي عاصر حكم معاوية بن أبي سفيان ووصف حالة الإضطهاد التي يمارسها عليهم على خلفية الإختلاف المذهبي بينهما، وهو ما يمكن أن يبرر سيرورة عملية الفتح الإسلامي لبلاد أرمينيا كما يظهر في كتابات سيبيوس حول هذا الموضوع العداء للامبراطور البيزنطي.[44]

كما تكمن أهميته في كونه عاصر وأرخ للحركة الفتوح الإسلامية على جبهة الفرس الساسانيين وكيف تم تقويض أركان امبراطوريتهم في وقت قياسي، والتي كانت تسيطر على الأراضي الارمينية لفترة طويلة من الزمن وكانت تتصارع من اجلها مع الإمبراطورية البيزنطية.

ومما يدعم قيمة هذا الكتاب ما دعمه به سيبيوس من نصوص للرسائل والمعاهدات والاتفاقيات التي لا نجدها إلا عنده.(45)

حمل سيبيوس كتابه بالكثير من المناقشات اللاهوتية بين الفرق المتعددة للمسيحية وخاصة منها تلك التي حدثت في المجامع الكنسية التي كانت تعقد بين رجال الدين المسيحيين لتحديد الأناجيل الصحيحة والاتفاق على العقائد الخاصة بطبيعة المسيح وغيرها من المسائل اللاهوتية.

7- نقد وتقييم الكتاب

في نقدنا لهذا الكتاب يمكن أن نوجه بعض الملاحظات التي تمس جانبين منه ، الجانب الأول وهو أصل الكتاب وصحة نسبته لسيبيوس، والجانب الثاني ويتعلق بمحتوى الكتاب وقيمة ما ورد فيه.

أولا: أصل الكتاب وصحة نسبته لسيبيوس

هناك جدل واسع حول العديد من جوانب تحقيق المخطوطة

1- لا يوجد أي من المخطوطات الكاملة الموجودة لهذا الكتاب تسبق القرن السابع عشر الميلادي.

2- من الواضح أن نص شاهكساتونيان المفقود الآن لا يحمل اسم المؤلف ولا عنوانًا للكتاب.

3- شاهكساتونيان هو الذي ذكر بأن هذا المخطوط يجب أن يكون التاريخ الذي ألمح إليه مؤرخو العصور الوسطى في وقت لاحق باسم "تاريخ سيبيوس"، وبناء على ذلك وبدون تحقق من الأمر ، تم نشر المخطوط على أنه تاريخ الأسقف سيبيوس المعنون بتاريخ هرقل على الرغم من حقيقة أنه أكثر بكثير من تاريخ هرقل.

4- على ما يبدو، أن شاهكساتونيان أو ميهرداتيان قسم النص إلى أقسام وفصول وقدم لها بملخصات والتي لم تكن في المخطوطة الأصلية. (46)

كل هذه الملاحظات يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في تقييم هذا الكتاب والتي من المؤكد تنقص كثيرا من قيمته العلمية .

ثانيا: محتوى الكتاب

لم يشر سيبيوس إلى مصادره في الكتاب إلا ما ذكره في نهاية الفصل الثلاثين بأنه أخذ أخباره عن أسرى كان قد أخذهم المسلمون إلى جزيرة العرب، وفي الحقيقة هذا ينقص كثيرا من القيمة العلمية لهذه الروايات، فالأسرى مجهولي الهوية ولا يمكن الوثوق في أخبارهم، كما أنه واضح كم سيكون مقدار الكره والغضب والحقد على المسلمين ومن المؤكد أن رواياتهم للأخبار سوف لن تكون سالمة من آثار تلك الخلفية التي ولدها الأسر والاستعباد والخصومة، وبالتالي فإن رواياتهم غير موثوقة، وهي قليلة القيمة أمام الرواية الإسلامية المسندة لرواتها إلى غاية الشاهد العيان عليها الموثوقة حتى وإن تأخر تدوينها مقارنة برواية سيبيوس، لكن يبقى لرواية سيبيوس الأهمية فيما لم تذكره الرواية الاسلامية.

ثم إن سيبيوس نفسه مسيحي بل ورجل دين مشارك في أهم المجامع الكنسية، وهذا كاف ليكون مائلا لبني جنسه ودينه ومتحاملا على الإسلام والمسلمين، ولا نأمنه في كونه ملفقا أو مبالغا أو مدلسا على كثير من رواياته، والدليل على ذلك تأثره بشخصية الامبراطور البيزنطي هرقل لما قدمه من خدمة للمسيحية واسترجاعه لبيت المقدس وصليب الصلبوت

لدرجة أنه سمى كتابه باسمه، تاريخ هرقل، رغم أنه لا يتناسب مع المادة المقدمة فيه، وهذا التعصب للبيزنطيين رغم كونهم على عداء وخصومة مع الأرمن بسبب الاختلاف المذهبي، أنقص كثيرا من قيمة الكتاب العلمية.

يستخدم سيبيوس كلمة "الاسماعيليين"[47] ، و"أحفاد هاجر" بدل المسلمين أو العرب، للانتقاص من قيمتهم على أساس أن إسماعيل عليه السلام أمه هاجر وهي الأمة التي منحتها السيدة سارة لسيدنا إبراهيم عليه السلام وبالتالي فهو ابن أمة، والحقيقة أن سيبيوس ليس الوحيد الذي يستعمل هذا اللفظ بل كل المؤرخين المسيحيين في العصر الوسيط يستعملون هذا اللفظ بل ويستعملون أيضا ألفاظا أخرى كـــ"الهاجريين" و"المهاجرين و"السراسنة" و"الطائيين"[48] للانتقاص من قدر وأصل العرب والمسلمين ويشوهون صورتهم أمام العالم المسيحي.

يتكلم سيبيوس بتعاطف كبير مع المسيحية وبتحامل كبير على المسلمين إذ نجده في افتتاح الفصل الرابع والثلاثين الذي عنوانه "هجوم من أحفاد هاجر" [49] حيث جاء فيه: «سأستمر في سرد الشرور التي جاءت في عصرنا... والوحشية التي فجرت علينا وأحرقت الأشجار العظيمة والجميلة النظرة والمورقة والبساتين ، ونحن نستحق ذلك لأننا أخطأنا ضد الرب»[50]

وفي موضع آخر وبعد ان ذكر نص المعاهدة بين قائد الأرمن ومعاوية علق على النص بقوله: «وهكذا تحالف مع اتباع المسيح الدجال وفضلهم عن الاغريق»[51]، ويقصد بالاغريق البيزنطيين.

للأسف فإن الصورة التي نقلها سيبيوس عن المسلمين وعمليات الفتح للعالم المسيحي مع بقية المصادر التاريخية المسيحية الارمينية والبيزنطية والسريانية والقبطية هي التي سادت طوال العصور الوسطى وهي التي أوغلت صدور الأوربيين عن الإسلام والمسلمين، وأوصدت الأبواب في وجه دعوة الإسلام، وساهمت بشكل كبير في تحريك الحملات الصليبية التي غزت العالم الإسلامي، بل واستمر تأثيرها حتى صاحب الحركة الاستعمارية الحديثة ولا يزال تأثيرها مستمرا ومتواصلا خاصة في غياب كتابات إسلامية يقوم بها أبناء الإسلام يخاطب بها العالم الغربي وتمحى صورة العصور الوسطى.

الهوامش

(1)– دفين: في المصادر العربية: دبيل ، كانت مدينة تجارية كبيرة و عاصمة أرمينيا في العصور الوسطى في وقت مبكر. فقد جاء في معجم البلدان للحموي عنها مايلي: «مدينة بأرمينية تتاخم أرّان، كان ثغرا فتحه حبيب بن مسلمة في أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، في إمارة معاوية على الشام ففتح ما مرّ به إلى أن وصل إلى دبيل فغلب عليها وعلى قراها وصالح أهلها»، وموقع المدينة القديمة في الوقت الحالي ليس أكثر بكثير من تلة كبيرة أنتجت الحفريات المنهجية في Dvin التي بدأت منذ عام 1937 وفرة من المواد ، والتي سلطت الضوء على الثقافة الأرمينية من القرن الخامس إلى القرن الثالث عشر. انظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـــ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م، 2/439، وانظر أيضا موقع:
https://en.wikipedia.org/wiki/Dvin_ancient_city
2018/03/19، 23:15.

(2)–Agop Jack Hacikyan,The Heritage of Arminian Literature, Wayne State University Press, USA, 2002, 2/82-83.

(3)– حاتم الطحاوي: فتوح المسلمين لبلاد الشام وأرمينيا قراءة في مصنف المؤرخ الأرمني "سيبيوس"، جريدة الحياة، العدد15835، 2006/08/12م، السعودية، ص15.

(4) -Frédéric Macler, l'introdiction d' Histoire D'HÉRACLIUS ,Imprimerie National, Paris, 1904, pVII.

(5)– Robert G. Hoyland , Seeing Islam as other saw it, a survey and evaluation of Christian, jewish and Zoroastrian writings on early Islam, The Darwing Press, New Jersey,1997, p124.

(6)–Ed de Venisc,1865,p3.

(7)– ايتشميادزين Etchmiadzin: مدينة أرمنية في مقاطعة أرمافير في أرمينيا تعرف بـــ "فاغارشابات" وتضم مقر كنيسة الأرمن الأرثوذكس المعروف بـــ"الكرسي الأم لإتشميادزين المقدّس" تضم المدينة العديد من الأديرة والكنائس ذات القيمة التاريخية والثقافية والروحية للشعب الأرمني فضلًا عن المؤسسات التعليمية اللاهوتية ومدارس اللاهوت والفلسفة المسيحية ويطلق على المدينة لقب المدينة المقدسّة. انظر موقع:

https://ar.wikipedia.org/wiki/فاغارشابات
2017/10/16، 10:25.

(8) –Rapports sur un voyage en Géorgie et Arménie, Impremerie de l'academie Impériale des sciences, St. Pétersbourg, 1851, p45 et suiv.

(9)- كتاب وباحث أمريكي قام بترجمة تاريخ سيبيوس من اللغة الارمينية القديمة إلى اللغة الإنجليزية سنة 1979م.

(10)- Robert Bedrosian, Translator's Preface of Sebeos'
History, Sources of the Armenian Tradition , New York, 1985, p6-7.

(11)- هكذا وصفها روبيرت بدروسيان في مقدمة ترجمته لكتاب تاريخ سيبيوس ، ص6-7.

(12)-أرمينيا الفارسية: مصطلح يشير إلى فترة من تاريخ أرمينيا، يُطلق عليها الفترة المرزبانية ابتداءً من سقوط مملكة أرمينيا في 428م، عندما رشّح ملك الإمبراطورية الساسانية عددًا من المرزبانيين لحكم الأجزاء الشرقية من أرمينيا، فيما عُرف تاريخيًا أرمينيا الشرقية، خلافًا لأرمينيا البيزنطية التي كان يحكمها عدد من الأمراء والحكام في وقت لاحق في ظل هيمنة الإمبراطورية البيزنطي، انتهت فترة المرزبانيين بالفتح الإسلامي لأرمينيا في القرن السابع الميلادي بتأسيس إمارة أرمينيا. انظر موقع:أرمينيا_الفارسية
https://ar.wikipedia.org/wiki/، 2018/03/19م،
23:35.

(13)-كان مصطلح "أوستكان" هو المصطلح الذي استخدمه الأرمن لولاة أرمينيا من قبل الخلفاء المسلمين.

(14) - Robert Bedrosian, Translator's Preface of Sebeos' History, p6-7.

(15)– حاتم الطحاوي: فتوح المسلمين لبلاد الشام وأرمينيا، ص15.

(16) –Frédéric Macler, Traducteur introduction du livre: Histoire D'Héraclius, Sébéos L'éveque, p8.

(17)– ﴿وإن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾.

(18)– حاتم الطحاوي: فتوح المسلمين لبلاد الشام وأرمينيا، ص15.

(19) – سفر التكوين، الاصحاح السادس عشر، الآية 12.

(20) – Sébéos L'éveque, Histoire D'Héraclius,Trad:Frédéric Macler, Imprimerie National, Paris, 1904, p94.

(21)– Ibid, p96-95.

(22)– Ibid, p96-95.

(23)– Ibid, p96-97.

(24)– Ibid, p97.

(25)– Ibid,p98.

(26)– Ibid,p98-101.

(27)– Ibid,p102.

(28)– Ibid,p102.

(29)– Ibid, p104-105.

(30)– Ibid,p109-120.

(31)– Ibid, p109-120.

(32)– Ibid,p123-129.

(33)– Ibid,p129.

(34)– Ibid, p130.

(35)– Ibid, p132.

(36)– Ibid, p132.

(37)– Sébéos L'éveque, Histoire D'Héraclius, p139.

(38)– Ibid, p143.

(39)– Ibid, p145.

(40) – Frédéric Macler, Traducteur introduction du livre: Histoire D'Héraclius, Sébéos L'éveque, p1.

(41)– Frédéric Macler, Traducteur introduction du livre: Histoire D'Héraclius, Sébéos L'éveque, p1.

(42)– Ibid, p2.

(43)– حاتم الطحاوي: فتوح المسلمين لبلاد الشام وأرمينيا، ص15.

(44)– Sébéos L'éveque, Histoire D'Héraclius, p111.

(45)– أنظر مثلا نص الرسالة التي أرسلها قسطنطين إلى الأرمن ليقنعهم بالانضمام إلى مذهبه وغيرها كثير.
Sébéos L'éveque, Histoire D'Héraclius, p111,382.

(46) - Robert Bedrosian, Translator's Preface of Sebeos'
History, p6-7.

(47)– نسبة إلى نبي الله إسماعيل عليه السلام وليس إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي.

(48)– حسام عيتاني: الفتوحات العربية في روايات المغلوبين، دار الساقي، بيروت، ط1، 2011، ص22.

(49) – Sébéos L'éveque, Histoire D'Héraclius, p129.

(50)– Ibid, p129.

(51)– Ibid, p130.